

131516 - شرح حديث: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا)

السؤال

أريد شرح الحديث : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا)

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة الجليلة التي تكسو القلوب انكسارا بين يدي الله ، واعترافا بالفقر إليه ، ورجاء رحمته وعفوه وإحسانه ، فالأمر خطير جد خطير ، والله سبحانه وتعالى يقول : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) الحج/1-2 .

هذا الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة وأبي هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، وكذا رواه الإمام مسلم وغيره ، وذلك في أحاديث عدة ، ترد بمناسبات مختلفة، وسياقات متعددة ، كلها تتضمن هذه الجملة العظيمة : (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

"والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله ، وانتقامه ممن يعصيه ، والأهوال التي تقع عند النزاع ، والموت ، وفي القبر ، ويوم القيامة ، ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة ، والمراد به التخويف" انتهى .

"فتح الباري" (11/319) .

وقال النووي رحمه الله :

"لو رأيتم ما رأيتم ، وعلمتم ما علمتم مما رأيته اليوم وقبل اليوم لأشفقتهم إشفاقا بليغا ، ولقلل ضحككم وكثر بكاءكم" انتهى .

"شرح مسلم" (15/112) .

وقال القرطبي رحمه الله :

"وقوله صلى الله عليه وسلم : (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) : يعني ما يعلم هو من أمور الآخرة وشدة

أحوالها ، ومما أعد في النار من عذابها وأنكالها ، ومما أعد في الجنة من نعيمها وثوابها ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد كان رأى كل ذلك مشاهدة وتحقيقا ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحران ، قليل الضحك ، جُلُّه التبسم " انتهى .

"المفهم" (2/557) .

وقال المناوي رحمه الله :

"(لو تعلمون ما أعلم) أي : من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وأحوال القيامة وأحوالها ما علمته لما ضحكتم أصلا ، المعبر عنه بقوله (لضحكتكم قليلا) إذ القليل بمعنى العديم على ما يقتضيه السياق ، لأن (لو) حرف امتناع لامتناع " انتهى .

"فيض القدير" (5/402) .

ومن أعظم سياقات هذا الحديث ما رواه الترمذي (2312) عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ) وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (1722) .

قال المباركفوري رحمه الله :

"قوله : (إني أرى ما لا ترون) أي : أبصر ما لا تبصرون .

(أطت السماء) : أي : صوتت ، أي : أصدرت صوتاً . وأطيط الإبل : أصواتها وحنينها .

(وحق) أي : ويستحق وينبغي (لها أن تنط) أي : تصوت .

(ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك) أي : فيه ملك .

(واضع جبهته لله ساجداً) قال القاري : أي منقاداً ، ليشمل ما قيل إن بعضهم قيام ، وبعضهم ركوع ، وبعضهم سجود ، كما قال تعالى حكاية عنهم : (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) أو خص السجود باعتبار الغالب منهم ، أو هذا مختص بإحدى السماوات .

(إلى الصُّعدَاتِ) أي : الطرق . وقيل : المراد بالصُّعدَاتِ هنا البراري والصحاري .

(تجارون إلى الله) أي : تتضرعون إليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء " انتهى باختصار .



"تحفة الأحوزي" (602-6/601) .

والله أعلم .